

المحكم والمتشابه

الدرس
3

أهداف الدرس

- تعرف مفهوم المحكم والمتشابه وأحكامهما.
- إدراك الغاية من وجود المحكم والمتشابه في القرآن الكريم.
- تقوية إيماني بالقرآن الكريم محكمه ومتشابهه.

تمهيد

القرآن الكريم كتاب أحكمت آياته، وتشابهت كلماته وألفاظه، فانسجت فيه المعاني وتعانقت، وصدق آخرها أولها وتآزرت، وشاءت حكمة مُنزلَه سبحانه أن تكون فيه آيات محكمات هن أم الكتاب ومُعظمه، وآيات أخر متشابهات ابتلاء للذين في قلوبهم الزيغ والميل عن الصواب، ورفعاً لمقام الراسخين في العلم الذين أوتوا الفهم الصحيح عن الله تعالى والعمل بذلك.

فما هو المحكم؟ وما هو المتشابه؟ وما هي أحكامهما؟

المتن

قال ابن عاصم رحمه الله:

فصل في المحكم والمتشابه

مُتَّصَحَاتُ الْآيِ مُحْكَمَاتٌ * * * قَسِيْمُهُنَّ الْمُتَشَابِهَاتُ
مَنْ حَيْثُ لَا يُعْلَمُ مُقْتَضَاهَا * * * فِيمَا أَتَتْ بِهِ كَمَثَلِ طَهَ
أَوْ لَظْهُورِ صِفَةٍ اشْتَبَاهَ * * * وَالرَّاجِحُ الْوَقْفُ عَلَى اسْمِ اللَّهِ
وَيَقْتَضِي ذَاكَ مَعَانِ الْآيَةِ * * * مِنْ جِهَةِ التَّفْصِيلِ فِي الْبَدَائِيهِ

وَالسَّبَبُ الْوَاقِعُ فِي التَّنْزِيلِ * * * وَهُوَ مُرَاعَى لِأُولَى التَّحْصِيلِ
وَجَاءَ مَا لَمْ يُدْرَ لِلتَّنْبِيهِ * * * عَلَى الَّذِي لِلرَّاسِخِينَ فِيهِ
وَذَلِكَ التَّصْدِيقُ وَالْإِيمَانُ * * * وَلَيْسَ يُسْتَبَعَدُ هَذَا الشَّانُ
مَعَ كَوْنِهِ لَمْ يَأْتِ فِي الْأَحْكَامِ * * * فَيُطْلَبُ الْبَيَانُ فِي الْإِعْلَامِ
أَمَّا تَرَى مَا قَالَ فِي الْأَبِّ عُمَرُ * * * وَمَا بِهِ فِي عَدَمِ الْبَحْثِ اعْتَذَرُ
فَحُكْمُ ذَا لِلرَّاسِخِينَ يُعْتَبَرُ * * * مُنْزَلًا مَنْزِلَ أَبِّ لِعُمَرُ
وَالْقَوْلُ فِي الْآيَةِ بِاشْتِمَالِ * * * مَعَ ذَا عَلَى تَشَابِهِ الْإِجْمَالِ
مُرْتَكَبٌ صَعْبٌ وَمِمَّا يُلْزَمُ * * * عَلَيْهِ أَنْ يَقْلَّ فِيهِ الْمُحْكَمُ

الفهم

استخلاص مضامين المتن

1. أستخرج مفهوم المحكم والمتشابه.
2. أستخلص فائدة وقوع المتشابه في القرآن.
3. أستخرج علاقة الجمل بالمتشابه وأثر ذلك.

الشرح

قَسِيمُهُنَّ: مقابلهن.

مُقْتَضَاهَا: أي مدلولها.

لأُولَى التَّحْصِيلِ: العلماء المحصلين.

مُرْتَكَبٌ صَعْبٌ: مرتقى صعب ومتعسف.

التحليل

يشتمل هذا الدرس على المحاور الآتية:

أولاً: تعريف المحكم والمتشابه وأسباب التشابه

1. تعريف المحكم

المحكم لغة: مأخوذ من قولهم: أحكمه أتقنه فاستحكم، واصطلاحاً: له إطلاقات منها: الواضح البين الذي لا يفتقر في فهم معناه إلى غيره. وذلك قول المصنف: «مُتَّضِحَاتُ الْآيِ مُحْكَمَاتُ»

2. مفهوم التشابه

التشابه لغة: التماثل والمشاركة في الصفة، والالتباس. والتشابه في الاصطلاح: ما ليس لفظه واضح الدلالة على معناه فهو قسيم المحكم، وذلك قول ابن عاصم رحمه الله: «قَسِيمُهُنَّ الْمُتَشَابِهَاتُ».

3. أسباب التشابه

قال ابن عاصم رحمه الله:

مَنْ حَيْثُ لَا يُعْلَمُ مُقْتَضَاهَا *** فِيمَا أَتَتْ بِهِ كَمَثَلِ طَهَ
أَوْ لَظْهُورِ صِفَةٍ اشْتَبَاهُ *** وَالرَّاجِحُ الْوَقْفُ عَلَى اسْمِ اللَّهِ

ذكر ابن عاصم رحمه الله أن التشابه في الآيات القرآنية يكون من جهتين:

أ- أن لا يعلم أحد مدلولها الذي دلت عليه كمثل: طه، ويس، وح، وسائر فواتح السور.

ب- ظهور صفة اشتباه بين صفات الله تعالى وصفات المخلوقين، كقوله تعالى:

﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه:5]، وقوله تعالى: ﴿تَجَرَّعَ بَأْعَيْنَنَا جَزَاءَ لَمْ كَانَ كُفْرٌ﴾ [القمر:14].
وقوله تعالى: ﴿إِنَّا الْيَرِيْبَايَعُونَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح:10] وغير ذلك من الآيات.

ثم أشار الناظم بقوله: «... وَالرَّاجِحُ الْوَقْفُ عَلَى اسْمِ اللَّهِ» إلى الخلاف الواقع بين العلماء في مسألة الوقف على اسم الله في قوله تعالى: ﴿فَوَالْبَاحِ أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ تُحْكِمُ لَكُمْ أُمُورَ الْكِتَابِ وَأُخْرَى مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلٍ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران:7]، وبيانه فيما يلي:

1. مذهب أكثر العلماء الوقف على لفظ الجلالة ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾. وهذا هو الراجح عندهم كما

أشار إلى ذلك ابن عاصم، واستدلوا بما يلي:

- أن ما قبل هذه الآية يدل على أن طلب تأويل التشابه مذموم.

– أن الله مدح الراسخين في العلم بأنهم يقولون آمنا به ولو كانت الواو في قوله: «والراسخون» للعطف لم يكن لقوله: «كل من عند ربنا» فائدة.

– لو كان قوله: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ معطوفا على قوله: ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ لصار قوله: ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ ابتداءً، وأنه بعيد عن ذوق الفصاحة، بل كان الأولى أن يقال: وهم يقولون آمنا به، أو يقال: ويقولون آمنا به.

2. **مذهب بعض العلماء** أن الوقف يكون عند قوله: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ وزعموا أنه هو الصحيح؛ لأن تسميتهم راسخين يقتضي أنهم يعلمون أكثر من المحكم الذي يستوي في علمه جميع من يفهم كلام العرب. وفي أي شيء هو رسوخهم إذا لم يعلموا إلا ما يعلم الجميع. ولأن الخطاب بما لا يفهم بعيد، فعلى قول من جعل الوقف على لفظ الجلالة: ﴿إِلَّا اللَّهُ﴾ يكون علم معنى المتشابه مقصوراً على الله لا يتعداه إلى غيره، وعلى قول من جعل الوقف على قوله: ﴿فِي الْعِلْمِ﴾ يجوز أن يكون المتشابه معلوماً لغير الله تعالى من طريق الكسب. وأشار ابن عاصم بقوله:

وَيَقْتَضِي ذَاكَ مَعَانِ الْآيَةِ *** مِنْ جِهَةِ التَّفْصِيلِ فِي الْبَدَايَةِ

إلى ما يقتضي ذاك الترجيح، وهو معاني الآية من جهة التفصيل الذي في بدايتها وهو كون آيات الكتاب على قسمين: محكمات، ومتشابهات، وكون ما ذكر في الآية من أن المتشابه لا يبتغي ويطلب تأويله إلا الذين في قلوبهم زيغ أي ميل عن الحق أو شك، وأن الراسخين في العلم يؤمنون به ولا يخوضون ويبحثون عن تأويله، فهذا التفصيل يدل على أن المتشابه مما استأثر الله بعلمه وأن الوقف على اسم الجلالة هو الأولى.

3. ما ذكر في سبب نزول الآية

قال ابن عاصم رحمه الله:

وَالسَّبَبُ الْوَاقِعُ فِي التَّنْزِيلِ *** وَهُوَ مُرَاعَى لِأُولَى التَّحْصِيلِ

السبب في كلام الناظم يحتمل وجهين:

– **السبب في نزول القرآن**، وهو الإيمان به والعمل بمقتضاه، ويقتضي ذلك أن المتشابه مما استأثر الله بعلمه، وأن الوقف في الآية الكريمة السابقة على اسم الله؛ لأن أحد السببين في التنزيل

وهو الإيمان موجود في المتشابه فيجب الإيمان به مع تفويض معناه إلى الله، وذلك أشق على النفس؛ لأنه من الإيمان بالغيب الذي مدح الله المؤمنين به.

- السبب في نزول الآية السابقة خاصة، وهو أن وفدا من نصارى نجران الذين خاصموا النبي ﷺ في عيسى عليه السلام، وقالوا له: «ألست تزعم أنه كلمة الله وروح منه؟ قال: بلى، قالوا: حسبنا ذلك، فأنزل الله هذه الآية. [تفسير البغوي 411/1]. فحملوا قوله تعالى «روح منه» على أنه بعض منه، وأنه ابنه، وهذا من المتشابه الذي اتبعوه فأنزل الله الآية ردا عليهم بأن قول الله في عيسى «وروح منه» من المتشابه، والمتشابه لا يعلم معناه إلا الله.

ثم أشار ابن عاصم بقوله: «... وَهُوَ مُرَاعَى لِأُولِي التَّحْصِيلِ» إلى أن السبب في نزول الآية مراعى لدى العلماء في التفسير، ومعين على فهم المراد وبيان المعنى.

ثانيا: الحكمة من إنزال المتشابه واستئثار الله تعالى بعلمه

قال ابن عاصم رحمه الله:

وَجَاءَ مَا لَمْ يُدْرَ لِلتَّنْبِيهِ *** عَلَى الَّذِي لِلرَّاسِخِينَ فِيهِ
وَذَلِكَ التَّصْدِيقُ وَالْإِيمَانُ *** وَلَيْسَ يُسْتَبَعَدُ هَذَا الشَّانُ
مَعَ كَوْنِهِ لَمْ يَأْتِ فِي الْأَحْكَامِ *** فَيُطْلَبُ الْبَيَانُ فِي الْإِعْلَامِ
أَمَّا تَرَى مَا قَالَ فِي الْأَبِّ عُمَرُ *** وَمَا بِهِ فِي عَدَمِ الْبَحْثِ اعْتَذَرُ

لورود المتشابه في القرآن الكريم حكم، وهي على ما ذكره الناظم هنا كالاتي:

1. التنبيه على فضيلة الراسخين في العلم، وهو التصديق والإيمان بالمتشابه مع عدم علم معناه وتفويضه إلى الله، وذلك لا يستبعد؛ لأن المتشابه لم يأت في الأحكام الشرعية التي يطلب فيها الامتثال، فلا يحتاج أن يطلب بيانها عند إعلام المكلف بها، وذلك قوله تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ، كُلُّ مَنْ عِنْدَ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾. [آل عمران: 7]

2. الابتلاء والاختبار؛ فإنزال المتشابه لابتلاء العباد هل يؤمنون به ويصدقون مع عدم علمهم بمعناه، أو يتكفون في البحث عن معناه، فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه تساءل عن الأب في

قوله تعالى: ﴿وَلِكَلِّهَ تَتَابَا﴾ [عبس: 31] ثم استدرك من فوره قائلاً: «هذا لعمر الله التكلف، وما عليك يا ابن أم عمر ألا تدري ما الأب؟ ثم قال: اتبعوا ما بُيِّنَ لكم من هذا الكتاب، وما لا فدَعُوهُ» [الجامع لأحكام القرآن 223/19]. وذلك لأنه لا ينبغي على فهم معنى الأبِّ حكم تكليفي، فالاشتغال به عما هو أولى منه تكلف، ودأب الراسخين في العلم أنهم يقولون ما قاله عمر ويفعلون فعله فلا يتكلفون.

ثالثاً: علاقة المتشابه بالمجمل

قال ابن عاصم رحمه الله:

وَالْقَوْلُ فِي الْآيَةِ بِاشْتِمَالِ * * * مَعَ ذَا عَلَى تَشَابِهِ الْإِجْمَالِ
مُرْتَكَبٌ صَعْبٌ وَمِمَّا يُلْزَمُ * * * عَلَيْهِ أَنْ يَقْلَّ فِيهِ الْمُحْكَمُ

بيِّن الناظم رحمه الله في هذين البيتين أن القول في الآية المذكورة، وهي قوله تعالى: ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾ بأنها مشتملة على تشابه الإجمال؛ أي دالة على أن المجمل من المتشابه مرتكب صعب؛ أي قول متعسف بجانب للصواب لا تدل عليه الآية وتنتأى عنه الشريعة. ويلزم على القول بأن المجمل من المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله وأن الآية دالة على ذلك أن يكون المُحْكَم قليلاً في القرآن، وذلك باطل؛ لأن المحكم هو المقصود الأعظم من القرآن لقوله تعالى في الآيات المحكمات: ﴿هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ أي أصله ومعظمه.

التقويم

1. أعرّف المحكم مع التمثيل والاستشهاد.

2. أملأ الجدول الآتي بعد نقله إلى دفثري بما يناسب:

تعريف المتشابه	أسبابه	الحكمة من وجوده	التمثيل

3. أبين مدى صحة القول بأن الآية اشتملت على تشابه الإجمال.

الاستثمار

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ بِسُورٍ مَّرْبُوعٍ وَتَوَكَّلْهُ وَعَلَّمَ عِلْمًا﴾ [البقرة: 28] قال القرطبي رحمه الله: «وهذه الآية من المشكلات، والناس فيها وفيما شاكلها على ثلاثة أوجه، قال بعضهم: نقرأها ونؤمن بها ولا نفسرها، وذهب إليه كثير من الأئمة، وهذا كما روي عن مالك رحمه الله أن رجلاً سأله عن قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾ [طه: 4] قال مالك: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، وأراك رجل سوء! أخرجوه. وقال بعضهم: نقرأها ونفسرها على ما يحتمله ظاهر اللغة. وهذا قول المشبهة. وقال بعضهم: نقرأها ونتأولها ونحيل حملها على ظاهرها». [الجامع لأحكام القرآن 254/1].

أتأمل هذا النص وأجيب عن الآتي:

1. بماذا تسمى الطائفة الأولى والثالثة الواردتان في النص؟ مع التنبيه على وجه التسمية.
2. ما هو الرأي الذي يتماشى مع القول بالتشابه في آية الاستواء وأمثالها؟
3. أوضح كلام الإمام مالك رحمه الله.

الإعداد القبلي

– أستاذ للدرس القادم بحفظ نصاب المتن المقرر ومطالعة المسائل الأصولية الواردة فيه.